



العلاقات الاجتماعية في الفضاء الافتراضي بين الامتداد والتهديد للعلاقات الاجتماعية التقليدية

Social relationships in virtual space

Between the extension and the threat of traditional social relations

علواش كهينة *

جامعة الجزائر 03 (الجزائر)، alouache2013@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/03/31

تاريخ القبول: 2023/03/02

تاريخ الاستلام: 2022/09/25

المخلص

ساهمت شبكات التواصل الاجتماعي في إحداث تغييرات عميقة في مختلف جوانب الحياة الإنسانية والثقافية والفكرية والاجتماعية، و أثرت بشكل كبير على كافة أنماط الاتصال الإنساني، فغيرت نمط العلاقات الاجتماعية السائدة وتحولت إلى علاقات افتراضية. يهدف البحث إلى إبراز التغيير الذي أحدثته الفضاء الافتراضي على طبيعة التواصل الذي أصبح يهدد العلاقات الحيوية السائدة ويشكل خطورة على متانة العلاقات وتماسكها، خصوصا مع غياب الاتصال الشخصي المباشر بين الافراد.

توصلت الدراسة إلى أن تنامي استخدام شبكات التواصل الاجتماعي والإقبال اللامحدود من قبل فئة الشباب، يؤثر على العملية الاتصالية بين أفراد الأسرة الواحدة. ولها انعكاسات وآثار على أنماط الاتصال الشخصي وبالتالي شيوع أنماط جديدة من السلوكيات والقيم الاجتماعية التي تؤثر على عملية التفاعل الاجتماعي سواء على المستوى الفردي أو الجماعي الذي تملؤه الهويات الإلكترونية الافتراضية.

كلمات مفتاحية: العلاقات الاجتماعية التقليدية، العلاقات الافتراضية، الهويات الإلكترونية الافتراضية، الفضاء الافتراضي، موقع الفيسبوك.

Abstract:

Social networks have contributed to profound changes in various aspects of human, cultural, intellectual and social life, and have greatly affected all patterns of human communication, changing the pattern of prevailing social relationships into virtual relationships

The study found that the growing use of social networks and the unlimited turnout of young people affect the communication process between members of the same family. They have implications for personal communication patterns and thus the prevalence of new patterns of social behaviours and values that affect the process of social interaction, both individually and collectively, filled with virtual electronic identities

Keywords: Traditional social relations; Virtual relationships; Virtual electronic identities; Virtual space; Facebook.



1. مقدمة:

أدى التطور الهائل في تكنولوجيات الإعلام و الاتصال الى إنتاج وسائل حديثة في التواصل الاجتماعي عملت على إحداث تغييرات جذرية مست الحياة من جميع جوانبها، حيث باتت مواقع التواصل الاجتماعي في الفترة الأخيرة تهيمن على عقول الشباب، فأصبحوا يقضون معظم أوقاتهم وراء شاشات الحاسوب، الأمر الذي ساهم في تغيير ملموس في واقع التعامل الأسري والعائلي.

فالعلاقات الاجتماعية تأثرت بالتطورات الهائلة المتتالية التي دخلت على المجتمعات في ظل العولمة، خصوصاً مع تنامي استخدام الشبكات الاجتماعية التي فتحت المجال للتفاعل والاحتكاك البشري، وإتاحة الفرصة للتفكير والإطلاع والحوار وتبادل المعلومات في شتى المجالات والميادين.

كثير النقاش في الآونة الأخيرة حول الدور الخطير الذي تلعبه هذه الشبكات في عزل الأفراد اجتماعياً وتفكيك علاقاتهم في ظل انتشار أنماط جديدة من القيم والسلوكيات المستحدثة في المجتمع كله. حيث تتيح للمستخدم التعرف على الأصدقاء من كل أنحاء العالم، بتبادل الرسائل الخاصة والرسومات التعبيرية، وهي كلها انعكاسات تفرضها التقنية على العلاقات الاجتماعية التقليدية.

فوسائل التواصل الاجتماعي تفتح باب عقد علاقات تبدأ بالتعارف وتبادل الأفكار والتهاني في المناسبات الدينية أو أعياد الميلاد، أو تبادل الأخبار اليومية وغيرها، وهذا كله أمر إيجابي ينمّي المعارف ويوطّد صلة الفرد بالمجموعة. لكن المشكلة تبدأ عند تطوّر هذه العلاقات خاصة بين الجنسين، فتصبح صفحات الفيسبوك ملاذاً للشكوى والبوح والطموح وتعويض النقص النفسي والذهني والعاطفي خاصة.

فنجد العلاقات التي تقام على هذه الصفحات لا تخرج عن إطار الصداقات في بدايتها ولكنها تتطور شيئاً فشيئاً لتكتسي طابعاً إلزامياً تصل في نهايتها إلى حدّ الإدمان.

طرح تزايد الإقبال على الشبكات الاجتماعية جملة من الإشكاليات العلمية على المستوى الاجتماعي والثقافي وحتى العقائدي، فاجتياح التكنولوجيا للحياة اليومية للأفراد لم يقتصر فقط على النشاطات، وإنما تعدى ذلك ليمس حتى العلاقات الإنسانية، فالصداقة مثلاً حادت عن معانيها الإيجابية المعروفة وتحولت من رابط مقدس إلى مجرد رابط مؤقت تكون المصلحة غايته الأولى، ووفرت المواقع الأرضية الخصبة لهذه المفاهيم الجديدة من خلال الصداقة الافتراضية التي طمسّت الصداقة الواقعية ذات الأبعاد الأخلاقية.

وما يزيد الأمر تعقيداً أن العلاقات الافتراضية عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي من فيسبوك وتويتر وسكايب وغير ذلك من الوسائل العصرية، وضعت العلاقات الاجتماعية بين الأفراد محل لعبة يتم التواصل بينهم عند الحاجة، وعند قضائها ينسى طرف منهما أو كلاهما هذه الصداقة التي أصبحت تنطوي على الكمية دون النوعية. في مجتمع طغى عليه الجانب المادي وبمجد كل ما هو ملموس من مصالح اجتماعية واقتصادية ومالية في كل المجالات.

من هنا فالإشكالية المطروحة في هذا البحث تتمثل على النحو التالي: ما هو مستقبل العلاقات الاجتماعية في الفضاء الافتراضي؟ وكيف تتطور العلاقات الافتراضية عبر مواقع التواصل الاجتماعي خصوصاً الفيسبوك؟
تتفرع عن هذه الإشكالية التساؤلات التالية:



- ماذا نقصد بالعلاقات الاجتماعية الافتراضية عبر الفايبروك؟
 - أين تكمن أهمية العلاقات الاجتماعية داخل الفضاء الافتراضي؟
 - فيما تتمثل أوجه التشابه والاختلاف بين العلاقات الاجتماعية التقليدية والعلاقات الاجتماعية الافتراضية؟
 - ماهي انعكاسات استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على نمط العلاقات الاجتماعية؟ وما هو مستقبلها في الفضاء الافتراضي؟
- أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إبراز أثر الإقبال الشديد على مواقع التواصل الاجتماعي الذي غالباً ما يعبر عن غياب الضبط الأسري والهروب من العلاقات الاجتماعية المباشرة والواضحة إلى علاقات محكومة بالسرية ومحاطة بالكتمان. والتي كثيراً ما تقود في النهاية إلى مزالق خطيرة تعصف بحياة الأفراد خصوصاً (الشباب) ومستقبلهم. فظاهرة التواصل عبر غرف الدردشة تؤدي تدريجياً إلى الخلل في العواطف وتوجيه المشاعر في غير وجهتها الطبيعية، مما يقود بالأفراد إلى علاقات أخرى منحرفة. وعليه فإن الإفراط في استخدامها يؤثر على العلاقات داخل الأسرة والمجتمع.

2. العلاقات الاجتماعية في الفضاء الافتراضي وأهميتها

تلعب العلاقات الاجتماعية في الفضاء الافتراضي أهمية وعرفت نوعاً من التغير مقارنة بالعلاقات التقليدية المعروفة. يحاول هذا المحور من البحث تسليط الضوء على تعريف كل من العلاقات الاجتماعية التقليدية ثم العلاقات الاجتماعية الافتراضية التي تتم عبر الشبكة، للوقوف على أهمية هذه العلاقات داخل الفضاء الافتراضي مع الإشارة إلى أوجه التشابه والاختلاف بين النوعين من العلاقات الاجتماعية التقليدية والافتراضية.

1.2 تعريف العلاقات الاجتماعية:

تعرف العلاقات الاجتماعية على أنها نتيجة التفاعل الاجتماعي (التأثير والتأثر أو الأخذ والعطاء) بين شخصين يشغلان موقعين اجتماعيين داخل الجماعة أو التنظيم أو المؤسسة الاجتماعية. (خليل، 1999، صفحة 71) إنها نموذج التفاعل المتبادل الذي يستمر فترة معينة من الزمن، تؤدي إلى ظهور مجموعة توقعات اجتماعية ثابتة. أما "إبراهيم عثمان" فيعرفها بأنها صورة من صور التفاعل الاجتماعي بين طرفين أو أكثر، بحيث تكون لدى كل طرف صورة عن الآخر والتي تؤثر سلباً أو إيجاباً على حكم كل منهما للآخر، ومن صور هذه العلاقات الصداقة والروابط الأسرية والقرابة وزمالة العمل والمعارف والأصدقاء. (الشهري، 2012، صفحة 16) كما تُعرف العلاقات الاجتماعية على أنها مجموعة الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد في المجتمع، والتي تنشأ نتيجة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع.

تُعتبر العلاقات الاجتماعية التي تتبلور بين الأفراد في مجتمع ما بناءً على تفاعلهم مع بعضهم البعض، -بغض النظر عن كونها علاقات إيجابية أو سلبية- من أهم ضروريات الحياة، وعليه فإن موضوع العلاقات الاجتماعية أصبح يحتل مكانة هامة في العلوم الاجتماعية. وقد أشارت الدراسات التحليلية التي تناولت بالدراسة والبحث موضوع العلاقات الاجتماعية إلى أنها تبدأ بفعل اجتماعي يصدر عن شخص معين يعقبه رد فعل يصدر من شخص آخر ويُطلق على التأثير المتبادل بين الشخصين أو بين الفعل ورد الفعل اصطلاح "التفاعل". (زموري و بغدادي، د.ت، الصفحات 200-201) هكذا تُعرف في العلوم الاجتماعية العلاقة الاجتماعية أو التفاعل الاجتماعي بأنها أية علاقة تنشأ بين فردين أو أكثر.



2.2 تعريف العلاقات الاجتماعية الافتراضية

أصبح الفرد يتصل مع فرد آخر عبر شبكات التواصل الاجتماعي اتصالا وسيطيا ويتفاعل تفاعلا افتراضيا تغيب فيه حدود الزمان والمكان وتماؤه الهويات الإلكترونية الافتراضية. يتفاعل الأفراد افتراضيا وينتمون لجماعات افتراضية ويشاركون في نشاطات حياتية متنوعة تدور كلها في عالم واحد هو "العالم الافتراضي"؛ حيث انتقلت التفاعلات الواقعية من خلال الشبكات الاجتماعية إلى الفضاء السيبرني مجسدة بذلك خصائص المجتمع الافتراضي من حيث التفاعل وطبيعة الاتصال وحدود الزمان والمكان وغيرها، فقد ساهمت التكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال على إعادة تشكيل بنية المجتمع؛ إذ عملت على تهدم عادات اجتماعية كانت سائدة كالتواصل الفيزيقي بين الأفراد؛ فلم تعد الأسر أو الأصدقاء أو مختلف الجماعات تلتقي ببعض جسمانيا بل يكاد ينعدم هذا التواصل . (بودهان، 2012، صفحة 12)

استطاعت وسائل التواصل الاجتماعي أن تنشئ مجتمعا افتراضيا حيا وتفاعليا يتشابه في معظم الأحيان وفي كثير من سماته مع المجتمع الواقعي؛ حيث يمكن التواصل المستمر عن بعد دون عوائق ملموسة. وبالتالي تتحول حياة الفرد تدريجيا لتكون قائمة على التواصل الإلكتروني والعيش في العالم الافتراضي وتكوين الأسرة الافتراضية، ضمن المجتمع الافتراضي، (السويد، 2013) وقد أظهرت الدراسات أن هذه المواقع تسمح بتجمع الأفراد على أساس الاهتمام المشترك أو القيم المتقاسمة أين يتم نقل الشبكة التقليدية للأفراد (الموجودة في عالمهم الواقعي) إلى الواب. مما يؤدي إلى إذابة الحدود الجغرافية والزمانية، بل حتى النفسية. ليصبح الفرد من خلال مواقع الشبكات الاجتماعية يعيش في مجتمع آخر مواز للمجتمعات الحقيقية، وهو "المجتمع الافتراضي" (Rheingold, 2018)

أهم ما يميز هذه التجمعات الافتراضية هي أنها متاحة للأفراد الذين يريدون المشاركة في أحد أنماطها، "المدينة الافتراضية" على حد قول "مايكل جانكينسون" و "ألبرت روبرت" "مدينة لا تنام". فهناك دائما أفراد مشتركون في التفاعلات الافتراضية حتى في منتصف الليل ولا غرابة في ذلك، فقد أصبح الأنترنت بشكل عام جزءا من حياة الناس والجماعات الافتراضية بأنماطها المختلفة. (زكي، 2018)

3.2 أوجه التشابه والاختلاف بين العلاقات الاجتماعية التقليدية والعلاقات الاجتماعية الافتراضية:

يقول " رابح الصادق " أنه عندما يبحر الأنترناتي في الفضاء الإلكتروني بحثا عن المعلومات من مصادر متنوعة، فإنه ليس مفصولا عن عوالمه المادية كما يبدو للبعض . فإذا كانت الشاشة باعتبارها وسيطا تقنيا، تحيل في أذهاننا على معنى الإخفاق وإسقاط إمكانية التفاعل الوجهي (الحضوري)، فإنها تتيح لنا إمكانية استثمار مساحة حميمة تكون أدواتنا في توصيل المعلومات التي نرى أنها مهمة وقيمة. (الصادق، 2008، صفحة 05)

يمكننا أن نفرق بين العلاقات الافتراضية والعلاقات الكلاسيكية من خلال بعدين أساسية :

–البعد الأول: القرب الوظيفي جدلية العلاقة بين الإنسان والمكان :

أهمية القرب لبداية الاحتكاك والاتصال الاجتماعي ففي عصر المعلوماتية القرب وهمي ولا يتم من خلال الفراغ المكاني، المكان افتراضي بدلا من المكان الحقيقي.

–البعد الثاني : الاتصال والتفاعل جدلية العلاقة بين الإنسان والزمان:



تعتمد الاتصالات التقليدية على الاتصال المباشر، الحضور يتم من خلال زمن محدد وفي مكان محدد كما أن الحضور في المعلوماتية غير متزامن وعن بعد بدلا من الحضور المتزامن. فالتفاعل يكون في أي مكان وفي أي وقت. (نورمان، 2011-2012، الصفحات 102-103)

رغم الفروق الموجودة بين العلاقات الافتراضية والكلاسيكية، تبقى الأولى مكتملة للثانية، فما هي إلا امتداد لها، لأن الاتصال التقليدي وجها لوجه كان يتميز بخصائص، فجاءت التقنيات الحديثة لتضفي بعض الميزات الأخرى، فالتطور التاريخي لتكنولوجيا الاتصال يبين كيفية سد ثغرات ونقائص الاتصال عن بعد والتي تنعدم في الاتصال الشخصي المواجهي، يعني أن النقائص الموجودة في الاتصال عن بعد مقارنة بالاتصال المواجهي تعمل التكنولوجيا الاتصالية دائما على إزالتها من خلال توفير تقنيات ووسائل وظروف تجعل المتصل يحس أنه مع من يتصل به، دون حدود زمنية أو جغرافية. (محفوظ، 2005، صفحة 40)

4.2 أهمية العلاقات الاجتماعية داخل الفضاء الافتراضي

لاحظ الباحثون أن مواقع شبكات التواصل الاجتماعي على غرار موقع الفايستوك تدعم الروابط الاجتماعية الموجودة و تسهل إنشاء علاقات جديدة مع المستخدمين الآخرين، فقد أثبتت عدة دراسات أن مستخدمي هذه المواقع يربطون علاقات مع غرباء عنهم تماما بعيدين عن جماعاتهم الاجتماعية الأولى؛ إذ يعتمدون لتشكيل مجتمعات على الخط قائمة على اهتمامات مشتركة، عكس الأولى القائمة على حيز جغرافي واحد. كما أجمعت نتائج العديد من الدراسات، أن الانترنت كوسيط اتصالي تساعد الأفراد الذين يعانون من الخجل والانطواء على تجاوز حدود حياتهم الاجتماعية الضيقة وتوطيد علاقاتهم تدريجيا مع أفراد المجتمع المحيط بهم. (Ferguston, 2004, p. 159) ويرى البعض أن استخدام الفرد لقناة اتصالية واحدة يجعل الروابط بين الأفراد ضعيفة، وأنه كلما زادت القنوات الاتصالية التي يستخدمها الأشخاص للتواصل مع الآخرين زادت قوة الروابط التي تربط بينهم، وهو ما تتيحه الانترنت كوسيط اتصال (Haythornthwaite, 2002).

بالرغم من اتفاق العديد من الباحثين على أن العزلة الاجتماعية هي أحد التأثيرات الحتمية لوسائل التواصل الاجتماعي، إلا أن هناك من يجادل بحجم المشاركة والتفاعلية الذي وفرته وسائل التواصل الاجتماعي والذي يعكس قدرة التمرد على الوسائل التقليدية والبحث عن أدوات مغايرة؛ حيث أنها دعمت مقدرة جمهور المستخدمين على البحث عن بديل يلبي حاجاته للمشاركة الاجتماعية والتفاعل مع الآخرين. (الحמיד، 2009، صفحة 49) باستخدام الإنترنت من أجل الحفاظ على الروابط مع الأصدقاء؛ فيتفاعلون بشكل ثنائي وبالتالي تكون أداة فعالة للحفاظ على الاتصال بين الأصدقاء المبعثرين جغرافيا.

3. انعكاسات استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على نمط العلاقات الاجتماعية

اختلف الباحثون في آرائهم حول الانعكاسات التي تفرزها مواقع التواصل الاجتماعي على نمط العلاقات الاجتماعية، فهناك من يرى أن مواقع التواصل الاجتماعي تخلق نوع من التكامل بين العلاقات الاجتماعية والعلاقات الافتراضية و فئة أخرى تقر بتعزيز وتوطيد المواقع الاجتماعية خصوصا الفيسبوك للعلاقات الاجتماعية، في حين ترى فئة أخرى أن العلاقات الاجتماعية الافتراضية تشكل تهديدا على العلاقات الاجتماعية التقليدية، وبالتالي تؤثر على مستقبل هذه العلاقات

1.3 التكامل بين العلاقات الافتراضية والعلاقات الاجتماعية:



يرى الباحث " راينفولد " أن دراسة المجتمعات الافتراضية من الناحية الاجتماعية جد مهمة كون التجمعات الاجتماعية التي تنشأ من الشبكة تجعل أناس يستمرون بعدد كاف في مناقشاتهم علنيا لمدة معينة بمشاعر انسانية كافية لتشكيل شبكات من العلاقات الشخصية في الفضاء السيبراني. (رحومة، 2008، صفحة 65)

يتبين مما سبق أن المجتمعات تستند على مقومين أساسيين هما: الاجتماعي والتكنولوجي، كون هذه المجتمعات تنشأ أصلا بفعل الدافع الاجتماعي (فهي تجمعات اجتماعية)، في البيئة التكنولوجية (الانترنت)، أي في ظروف تكنو-اجتماعية، بعدد كافي من المشاركين والأعضاء، يستمرون في تفاعلهم الاجتماعي رقميا لوقت كاف من الزمن، يكفل لهم بناء شبكات من العلاقات الشخصية والجماعية والاجتماعية المتبادلة في الفضاء الافتراضي.

هذه المساحة الافتراضية وإن كان الاعتماد فيها على الوجود الافتراضي فكثيرا ما تتحول إلى علاقات رغم طبيعتها الافتراضية فهي ذات قوة كبيرة في حياة العديد من الأشخاص الذين لا يقدرّون على الابتعاد عن الأجهزة المتصلة بالانترنت. فالمستخدم للشبكات والمواقع في الفضاء الإلكتروني يبحث عن معلومات من مصادر متنوعة وعن علاقات من أنماط مختلفة، فهو ليس مفصول عن عوالمه المادية كما يظن البعض، بل تتيح امكانية استثمار مساحة حيمة تكون أداة في توصيل المعلومات المهمة والقيمة. (رايح، 2008)

أدت مواقع التواصل الاجتماعي إلى تغيير جذري في كيفية تشكيل النسيج الاجتماعي، وبناء العلاقات الاجتماعية، كما تغيرت المعايير التي تقاس على أساسها متانة هذه العلاقات وامكانية استمراريتها. أي أنها كانت تعتمد سابقا على التقارب الجغرافي والاحتكاك اليومي في مختلف الأماكن وعلى أساسها تتشكل الروابط الاجتماعية. لكن مع التطورات الحاصلة في تكنولوجيات الاتصال أصبح بإمكان الأشخاص التعارف من مختلف أنحاء العالم وتكوين علاقات مع بعضهم البعض رغم بعد المسافة وعدم الالتقاء وجها لوجه.

من هذا المنطلق يعزز الكثير من الباحثين هذا النمط الجديد من الروابط والعلاقات الاجتماعية التي هي في الحقيقة امتداد للروابط والعلاقات الحقيقية القائمة، كونها تقريبا تخضع لنفس المعايير.

إلا أن هذه العلاقة التكاملية مع الانتشار الواسع للعلاقات الافتراضية في حياة الاشخاص سواء نتيجة للتفاعل الاجتماعي، أو بغرض ربط علاقات اجتماعية يبقى التساؤل المطروح يركز على مستقبل العلاقات الاجتماعية الحقيقية.

2.3 توطيد العلاقات الاجتماعية الافتراضية عبر الفايس بوك للعلاقات التقليدية:

يؤكد "محمد لعقاب" أن الناس تشعر دائما بالحميمية، ولا يمكن أبدا للاتصال الإلكتروني أن يقضي على الاتصالات الإنسانية المباشرة، فهو يمهّد لها الطريق ويسهلها لكن لا يقضي عليها أبدا (لعقاب، 2011، صفحة 41) والحاجة الأساسية التي يستخدمها المدافعون عن "الجماعات الافتراضية" وبالتالي عن أثر الانترنت في اللحمة الاجتماعية هي أن العلاقات الاجتماعية التي تنسج داخل هذه الجماعات هي علاقات مختارة إراديا وليست علاقات مفروضة بحكم الجغرافيا أو القرابة العائلية أو علاقات العمل، كما هو الشأن في بقية العلاقات الاجتماعية التقليدية. فالانترنت تمكن الأفراد من الدخول في علاقات مع من يريدون



متى يريدون. ويعتبر هذا التحول تحولا سوسيولوجيا جوهريا أدخلته الشبكة على العلاقات الاجتماعية التي أصبحت اختيارية. (العلوي، 2011، الصفحات 123-124)

من جهته يرى "مانوال كاستالز" أن تطور تطبيقات الشبكة، هي دليل على أن الإنترنت والمجتمعات الافتراضية والمثلة في الشبكات الاجتماعية تعمل على الاتصال وليس الانعزالية، وأن هذه الممارسات الجديدة التي تظهر هي امتداد للحياة الواقعية. (castells, 2002, p. 164)

وتعتبر شبكات التواصل الاجتماعي مثل ماي سبايس و فائسبوك وغيرها من أبرز المواقع التي تطورت مع الواب 2.0، والتي تسمح بالمحافظة على العلاقات الاجتماعية على الخط؛ (Fuch, 2009, p. 70) لذا يرى كلا من "أول و هاوارد" أن استخدامات الانترنت يمكن أن تؤدي إلى رفع رأس المال الاجتماعي. (Bargh & Kenna, 2004, p. 10) من جهته؛ يرى "ليفى بيار" أن العلاقات التي تنسج على الخط لا تعني غياب المشاعر القوية. (Pierre, 1997, p. 154) إذ يلجأ الأفراد لمثل هذه الأماكن وينضمون للعالم الافتراضي للحصول على نصيب من التفاعلات والعلاقات مع الأصدقاء والزلاء والمعارف في أوقات قياسية. فالتفاعلات التي تحصل عبر المجتمعات الافتراضية قد تؤدي إلى علاقات شخصية حميمة تساوي تلك التي تحصل في واقع الحياة، لما يعطى لها الوقت الكافي للتطور. (Richard & Michael, 2009, p. 116)

3.3 تهديد العلاقات الاجتماعية الافتراضية عبر الفايسبوك للعلاقات التقليدية:

إن ظهور الجماعات الافتراضية على الانترنت طرح عدة تساؤلات ذات منحنى سوسيولوجي باعتبارها شكلا جديدا من أشكال الاجتماع مثل التساؤل حول مصداقية وموثوقية العلاقات التي تربط بين أشخاص "لا يعرف بعضهم البعض" أو التساؤل حول دور الانترنت في إضعاف اللحمة الاجتماعية عن طريق علاقات افتراضية باردة تحل محل حرارة العلاقات الإنسانية المباشرة. وفي هذا الصدد نجد الباحث "فليب بروتون" يتساءل عن دور الانترنت كعامل تهديدي للحمة الاجتماعية؟ (Breton, 2000, p. 125) كما يرى كلا من "ميشال سيمون و" فيليب مونو" أن العلاقات عندما تكون مختارة أو اختيارية تشجع "الإقصاء" وإنكار الآخر المختلف. ففي العالم المادي يظهر هذا الآخر بشكل من الأشكال لا يمكن تجاهله. فلا يمكن مثلا غض الطرف عن فئة المشردين أو الأجانب. أما في عالم الجماعات الافتراضية فإن لا شيء يجبر على الاحتكاك بهذه الفئات مما يؤدي إلى إقصائها وتهميشها. (Monot & Simon, 1998, pp. 87-92)

ينتقد "طوماس جياكوفولو" ويجادل بأن الفضاء الإلكتروني يوفر وهما وخداعا لمعنى المجتمع، فلا يمكن أن تنشأ روابط اجتماعية، إلا إذا اجتمع الأفراد جسديا (Giagkoglou, 2010, p. 06) يمكن أن نضيف إلى هذه النقاط عبارة "الوحدة التفاعلية" التي طرحها "دومينيك فولتون" حين قال "أنه يمكن أن نكون مبحرين جيدين على الانترنت، ولكننا نلقى أكبر الصعوبات في إجراء حوار مع جارنا الجالس حذونا في مقهى الأنترنت" (Wolton, 1999, pp. 106-107).

إن معظم العلاقات التي تتكون عبر هذا الفضاء هي علاقات غير حقيقية لا تتسم بالدوام والاستمرارية ومعظمها علاقات سطحية وقصيرة. (Young & Sujin, 2003, p. 149) كما تشير بعض الدراسات إلى أن الأشخاص الذين يمتلكون عددا كبيرا من الأصدقاء والذين يمشون معظم وقتهم على صفحات موقع الفايسبوك معرضون بشكل كبير للضغط النفسي؛



حيث يقول باحثون نفسيون من جامعة " في دراسة قاموا بها عن الصداقة في الفيسبوك أن 32 % من المستخدمين يشعرون بالذنب وعدم الارتياح عند رفض طلبات الصداقة، بينما 63 % يعتمدون إلى تأجيل هذه الطلبات و 10 % يكرهون الحصول على طلبات الصداقة من الآخرين (مؤلف، 2018).

أشار العديد من الباحثين أمثال "كراو" إلى وجود علاقة بين كثافة استخدام الانترنت وزيادة الإحساس بالعزلة، وقد فسروا هذه النتيجة في ضوء أن الشبكة تجعل الفرد لا يشعر بالوقت الذي يقضيه في استخدامها، ولذلك أطلقوا عليها اسم "سارق الوقت" (Nie, 2006, p. 423).

عبر باحثون آخرون عن تخوفهم من امكانية تعويض المجتمعات الافتراضية التفاعلات الاجتماعية بين الأفراد والاتصال وجها لوجه، ما يؤدي إلى الانعزالية و فصل الأفراد عن بعضهم البعض بدل جمعهم (Ferlander, 2001, p. 02). فتكون مصدرا للاكتئاب والشعور بالوحدة ، كما أنها تعزز العلاقات الضعيفة على الخط مع أشخاص غرباء وتخفيض في نفس الوقت الروابط القوية خارج الخط (Nie, 2006). لهذا اتجهت الكثير من المقاربات النفسية الاتصالية الحديثة إلى تعزيز فكرة تكريس الشبكة لمبدأ الفردانية والانعزالية، ما يؤكد "ماك ليلاند" الذي يرى بأن الانترنت قد تؤدي إلى تدهور الروابط الاجتماعية، وتيهان الأفراد الزمني والعائلي والمكاني (Ferlander, 2001, p. 02).

من جهته؛ يشير "جمال سند السويد"، إلى ضعف تأثير الأسرة في سلوك الأبناء؛ فمعايشة الأبناء وخاصة في سن المراهقة، لشبكات التواصل الاجتماعي تجعلهم أقل تأثرا بقيم الأسرة، وتضعف إدراكهم لتوجيهات الآباء، ومن ثم يتراجع تأثير الأسرة في سلوك هؤلاء الأبناء. وفي المقابل يزداد تأثير المجتمع الافتراضي والأسرة الافتراضية (السويد، 2013، صفحة 74) حتى أننا أصبحنا حاليا نتحدث عن ظاهرة الانتحار لبعض مستخدمي الفيسبوك من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 14 و 25 عاما وهو ما تناولته العديد من الصحف العربية والأجنبية، ما يشير إلى وجود دور لوسائل التواصل الاجتماعي في نشر الاكتئاب الذي يدفع بصاحبه في النهاية إلى الانتحار، وهو أمر يؤثر في الدور الذي يجب أن تقوم به الأسرة والمجتمع للتوعية والرقابة على الشباب والمراهقين لمعالجة هذه الظاهرة ومنع انتشارها في المستقبل. بالإضافة إلى الأثر المحتمل على العلاقات الزوجية، والتي قد تتدهور بشكل كبير وتؤدي حتى إلى الطلاق، خاصة إذا انغمس أحد الطرفين في علاقات افتراضية غير شرعية.

4.3 مستقبل العلاقات الاجتماعية التقليدية في الفضاء الافتراضي:

تسائل العديد من الباحثين عن مستقبل العلاقات التقليدية مع تزايد الإقبال على الفضاءات الافتراضية ومدى تأثيرها على أنماط العلاقات الإنسانية الحقيقية بين استمراريته أم تلاشيها في المستقبل، ومدى مساهمتها في دعم وتقوية الروابط أم العكس. في عديد الدراسات اتفق الدارسون والمهتمون بمجال التكنولوجيا على أنها قلبت المجتمع رأسا على عقب، بعد تغيير تركيبة العلاقات وإقامتها، حيث تعدى الأفراد في الفضاءات الاتصالية الافتراضية شرط الالتقاء والاتصال المباشر أو ما يسمى بالحضور الاجتماعي والتقارب الجغرافي، إلى نمط اتصالي جديد يتعدى الحدود المكانية والزمانية كأسلوب جديد للتواصل مع الآخرين.

هذا ما وضعه الباحث "باري" عام 2010 بأن المجتمع الافتراضي كشبكة من العلاقات الشخصية تقدم المؤانسة والدعم والمعلومات إضافة إلى الشعور بالانتماء والهوية الاجتماعية .



وحسب "ويلمان" و"جوليا" فإن الانترنت تدعم مواقع التواصل الاجتماعي من خلال الخدمات التي تقدمها كالتعليقات الرسائل، الدردشة، مشاركة الأشخاص حياتهم الخاصة مع الآخرين في نموذج آخر ومجتمع آخر هو المجتمع الافتراضي الذي يمكن أن يكون وسيلة فعالة لمتابعة الهوايات وتأسيس الصداقات والعلاقات الجديدة مع تعزيز تلك المكونة في الواقع الحقيقي، وذلك بممارسة الألعاب والتسلية والتشارك بالأفكار والحوار. (عبد، 2018)

كما يؤكد العديد من مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي على أنها تمثل قوة إيجابية في علاقاتهم نظرا لتلاشي البعد الجغرافي الذي كان يشكل عائقا للحفاظ على العلاقات وتقويتها، وبإمكانهم التعبير عن أنفسهم عن طريق هذه المنصة وبناء علاقات اجتماعية مقربة من خلال هذه المواقع، كونهم لا يستطيعون تحقيق ذواتهم واكتشافها إلا بواسطتها. كما أن الأشخاص الذين يشعرون بالوحدة بإمكانهم تطوير علاقاتهم عبر المواقع بوتيرة سريعة، ومن ثم امتداد هذه العلاقات إلى علاقات اجتماعية حقيقية يكون التفاعل فيها وجها لوجه، وفي هذا الصدد يقول تومبسون "أن التطور الحاصل في مجال تكنولوجيا الاتصال لم يبلغ التفاعل المباشر وجها لوجه، وإنما جاء ليكمله ويتمه. فالعلاقات الاجتماعية الافتراضية والعلاقات الاجتماعية الحقيقية يمكن التمييز بينهما من خلال بعدين أساسيين أولهما القرب الوظيفي و الثاني الاتصال والتفاعل. (نوي، 2003، صفحة 56)

هناك من يرى أن مواقع التواصل الاجتماعي تساهم في عزل الأفراد اجتماعيا وتفكيك علاقاتهم الاجتماعية الحقيقية كونهم يقضون أوقات طويلة في التعامل مع الانترنت، وهذا ما يخلق العزلة عن الآخرين أثناء الاستخدام، ومن ثم تنشأ العزلة الاجتماعية، وبالتالي إيجاد نوع من التفكك الاجتماعي في ظل انتشار أنماط جديدة من القيم والسلوكيات المستحدثة. كما أن أفراد الأسرة يتفاعلون مع الانترنت أكثر مما يتفاعلون مع بعضهم البعض. والمعروف على الشبكة أنها تعزز علاقات غير قوية وتعرض المعلومات الشخصية للخطر.

لكن من جهة أخرى هناك إمكانية جعل السلبيات التي تحملها هذه المواقع إيجابية، باغتنام المستخدم خدمة ودعم قيمه وآرائه واتجاهاته من خلال التوعية المكثفة بكيفية الاستفادة منها، مع توظيف الجلسات العائلية على الحوار وإبداء الرأي والتعليق على ما يتم تداوله على المنصات الافتراضية.

4. خاتمة:

من خلال معالجة موضوع العلاقات الاجتماعية في الفضاء الافتراضي والتغيرات التي أحدثتها على نمط العلاقات الاجتماعية التقليدية، توصلت الدراسة إلى أن العلاقات الافتراضية التي أنتجتها شبكات التواصل الاجتماعي خصوصا "موقع الفيسبوك" عندما تستغل من جوانب إيجابية كتبادل المعلومات والخبرات والتجارب تؤدي إلى التبادل الثقافي والمعرفي، وتقريب الأجيال والمسافات وتخطي الحواجز المكانية، كما تفتح باب الحوار والنقاش الجاد والبناء بين الأفراد.

أما استغلالها سلبا يعود بالضرر على العلاقات الاجتماعية التقليدية، فتؤدي إلى العزلة الاجتماعية وضعف التفاعل الاجتماعي والمشاركة في الأنشطة الاجتماعية، و تضعف الحوارات المباشرة والجلسات الاجتماعية داخل الأسرة، ومن ثم فقدان المؤانسة الاجتماعية. من جهة أخرى تقضي على منظومة القيم والمبادئ السائدة في المجتمع مع انتشار ثقافات غريبة ودخيلة وبالتالي تدهور وتفكك العلاقات المباشرة وتبديد الهوية الأصلية. كما توصل البحث إلى أن تغيير أنماط التواصل والتفاعل وقلة



اللقاءات المباشرة تجعل الفرد يستسلم للشاشة لساعات طويلة في تفاعل افتراضي، فيقضي بذلك على الوقت المخصص للأشخاص الواقعيين في حياته وبذلك تفكك التلاحم والتماسك وتجمع ما هو متباعدا. فشبكات التواصل الاجتماعي باتت ظاهرة إنسانية موضوعية لا يمكن إلغاؤها، بل تعيد تشكيل الوعي والعلاقات وفق مضامين وممارسة جديدة. وهي بقدر ما تشكل ثورة معرفية إيجابية في التجربة الإنسانية، فإنها مثلها مثل أي تطور علمي لها تأثيرات جانبية سلبية.

ما يستدعي من الدولة ومؤسسات المجتمع السياسية والمنظمات الأهلية والمثقفين والإعلاميين والباحثين الاجتماعيين وعلماء النفس والتربية وغيرهم الوقوف أمام هذه الظاهرة ودراسة تأثيراتها من مختلف مناحي الحياة والواقع الاجتماعي وجعلها عنوانا وموضوعا دائما للبحث والنقاش بهدف تأسيس وعي اجتماعي عام لمواجهة أثارها ومخاطرها الكبرى. وأن يجري التخطيط لكي تكون هذه العملية علمية ومستمرة وخاصة على صعيد تأثيراتها على فئة الشباب. وذلك بهدف بناء وعي وقناعة اجتماعية حول كيفية الاستفادة القصوى من الإمكانيات التي توفرها هذه الثورة العلمية المعرفية. وفي ذات الوقت تحييد أثارها السلبية وتعزيز وحدة المجتمع وترسيخ قيم المسؤولية والاحترام من خلال نقاش الأبعاد القانونية والتشريعية التي تساعد في ضبط استخدام هذه الشبكات بما يحفظ مصالح المجتمع وخصوصيات الأفراد.

5. قائمة المراجع:

• المؤلفات:

- جمال سند السويد، وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية: من القبيلة إلى الفيسبوك، (مركز الإمارات للبحوث والدراسات الاستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، 3، 2013).
- خليل معن، البناء الاجتماعي نسقه ونظمه، الطبعة 3، (الشروق، الأردن، 1999).
- شوقي العلوي، رهانات الانترنت، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د.م، 2006).
- علي محمد رحومة، علم الاجتماع الآلي، (دار عالم المعرفة، الكويت، 2008).
- محمد حسن نوبي، ثورة المعلومات والعلاقات الاجتماعية، (الجمعية السعودية لعلوم العمران، جامعة الملك سعود، الرياض، 2003).
- محمد عبد الحميد، المدونات والإعلام البديل، (عالم الكتب، القاهرة، 2009).
- محمد لعقاب، المواطن الرقمي، كيف ساعدت تكنولوجيا المعلومات الثورات العربية، (دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011).
- محمد محفوظ، تكنولوجيا الاتصال، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2005).
- يامين بودهان، تحولات الإعلام المعاصر، (دار اليازوري، عمان، 2012).

• الأطروحات:



حنان بنت شعشوع الشهري، أثر استخدام شبكات التواصل الإلكترونية على العلاقات الاجتماعية "الفيس بوك والتويتر نموذجاً"، دراسة ميدانية على عينة من طالبات جامعة الملك عبد العزيز بجدة، مشروع بحثي مقدم ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة العربية السعودية، 2012.

مريم نزيهان نورمان، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية، دراسة عينة من مستخدمي موقع الفيس بوك في الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم العلوم الإنسانية، تخصص علوم الإعلام والاتصال، 2011-2012.

المقالات:

الصادق رابح، التكنولوجيا الاتصالية الحديثة واشكالية الروابط الاجتماعية، مجلة شؤون اجتماعية، الإمارات العربية المتحدة، الشارقة، العدد 99، 2008.

زينب زموري، خيرة بغداددي، "العلاقة العاطفية بين الجنسين، باستخدام الوسائل الالكترونية بين المجتمع الافتراضي والمجتمع الحقيقي"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، عدد خاص للملتقى الدولي الأول: حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري، (د.ت).

مواقع الانترنت:

ابراهيم اسماعيل عبده، (2018)، العلاقات الاجتماعية عبر الانترنت: دراسة في الفرص الكامنة والمخاطر المستترة، أسبار للبحوث والدراسات والإعلام، متاح على: <http://www.asbar.com/ar/contents.aspx>، تاريخ التصفح (2018/05/15)

دون مؤلف، (2018)، الأصدقاء في الفيس بوك"، متاح على :

<http://www.facebook-learn.com/vb/showthread.php?t=458>. تاريخ التصفح (2018/10/09)،

وليد رشاد زكي، (2018)، "المجتمع الافتراضي نحو مقارنة للمفهوم"، متاح على: <http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=96350&eid=897>، تاريخ التصفح (2018/10/13).

المراجع باللغة الأجنبية:

Alain Rey, Le Petit Robert Dictionnaire de La Langue Française, (Montréal, Canada 1992)

Bruce. D. Perry, Bonding and Attachment Theory, Ageing and Denentian, (aging & mental health. 2006)

Caroline Haythornthwaite, Strong, weak and Latent Ties and the Impact of New Media ", The information society, Vol .18,(05),. 2002.



Christian Fuchs, Information and communication Technologies and society ,A contribution to the political Economy of the internet", in European journal of communication, 24 (1), 2009.

Dominique Wolton,Internet et après ?, Une théorie critique des nouveaux médias , Flammarion, Paris,(1999),.

Geung Young, Lee Sang Sujin,Internet Over Users, Psychological profiles A Behavior Camping Analysis on Internet Over Users", Psychological and Behavior, Vol.(02.) , 2003

Harrison Richard and Thomas Michael,Identity in online communities, Social Networking sites and language Learning ", international journal of Emerging Technologies and Society, Vol .7, (02), , 2009.

Howard Rheingold, The electronic version of the Virtual Community", Available _<http://www.rheingold.com/vc/book/intro.html> .,(2018)

Joshua D. Wondra and Phoebe C. Ellswort. (2015) .An Appraisal Theory of Empathy and Other Vicarious Emotional Experiences. <https://www.apa.org/pubs/journals/features/rev-a0039252.pdf> Psychological Review © 2015 American Psychological Association 2015, Vol. 122(3),

John Bargh ,Katelyn Y.A .McKenna,), The internet and social life, New York University, New York, 2004

Lévy Pierre :CybercultureOdile, Jacob, Paris, , 1997

Manuel Castells, La galaxie internet, Fayard, Paris, 2002

Norman Nie, ,Sociability, interpersonal relations and the internet", American behavioral scientist, Vol.(45) 2006,.

Philippe BretonLe, culte de l'Internet, une menace pour le lien social ? , La Découverte, Paris, ,(2000),.

Philippe Monot, Michel SimonHabiter le cybermonde, Les Editions de l'Atelier /Editions Ouvrières, Paris, 1998.

Robert FergusonThe media in question,Uk2004.

Sara Ferlander, Building communities online Education and social capital ,University of Edinburg sweden Budapest, June.02. 2001,

Thomas Giagkoglou, The role of the human agent in a non –technology, Department of media, Film and communication Faculty of Arts and Humanities , Liverpool University 2010,